

دور زاوية الهامل في مقاومة الاستعمار الفرنسي وانعكاسات ذلك على القضية الفلسطينية

The role of Zawiya Al Hamel in resisting French colonialism
and its repercussions on the Palestinian Causeرياض قندوز¹

جامعة الأمير عبد للعلوم الإسلامية - قسنطينة

riaddoc2020@gmail.com

أ.د. محي عبد الحق

جامعة باتنة الحاج لخضر - كلية العلوم الإسلامية

aymenmihi66@hotmail.fr

تاريخ الوصول 2022/01/16 القبول 2022/09/03 النشر على الخط 2022/09/15

Received 16/01/2022 Accepted 03/09/2022 Published online 15/09/2022

ملخص:

تعتبر الزوايا من أهم المؤسسات الدينية التي لها سبق فضل في تربية النشء تربية إسلامية عربية ووطنية، فأنشأت جيلا مؤمنا بدينه محبا لوطنه ومؤمنا بقضاياها، والذي ساهم بدوره في تفجير الثورة والتصدي للاستعمار الفرنسي، مما جعلها عرضة للهدم، وعرض شيوخها وطلبها للسجن والنفي، إلا أنها ظلت القوة التي تصدت للاستعمار، فجعلت من القضية الفلسطينية وبطولاتها منبرا للتحرر وحمل هم هذه القضية وتوضيح معالم الجهاد للشعب الفلسطيني لنصرة وطنه ودينه. والهدف من هذه الدراسة تمثل في: توضيح جهود زاوية الهامل التحريرية. فما انعكاس هذه الجهود على القضية الفلسطينية؟

وقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على توضيح المفاهيم العامة، ثم التطرق إلى جهود زاوية الهامل التحريرية؛ مستندا في ذلك على الدراسة الميدانية التطبيقية من خلال: الاستعانة بشيوخ الزاوية ومخطوطاتها وتراثها، وقد تم التوصل في الأخير إلى أن زاوية الهامل من أقدم الزوايا نشأة وتبنيها أسلوب الكفاح من خلال مقاومتها للاستعمار ودعمها للثورة الشعبية، بالإضافة إلى إعداد الأجيال وتحرير الأوطان للالتفات إلى القضايا العربية الإسلامية العالقة.

الكلمات المفتاحية: زاوية الهامل، مقاومة الاستعمار، انعكاسات، نصره فلسطين.

Abstract:

Al-Zawiya is considered one of the most important religious institutions that has previously excelled in educating young people with an Islamic, Arab and national education. The force that confronted colonialism remained, making the Palestinian cause and its heroism a platform for liberation, carrying the concern of this issue and clarifying the features of jihad for the Palestinian people to support their homeland and religion. The aim of this study is to: Clarify the editorial efforts of Al-Hamel Zawiya. What is the impact of these efforts on the Palestinian cause? In this study, it was relied on clarifying general concepts, then addressing the editorial efforts of Hamel's corner; Based on the applied field study through: the use of the sheikhs of the corner, its manuscripts and its heritage, and it was concluded in the end that Zawiya al-Hamel is one of the oldest angles to emerge and adopt the method of struggle through its resistance to colonialism and its support for the popular revolution, in addition to preparing generations and liberating countries to pay attention to Arab issues Islamic lingering.

Keywords: Hamel angle, resistance to colonialism, repercussions, support for Palestine.

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

كان للزوايا في تاريخنا العربي الإسلامي عامة، وفي تاريخ الجزائر خاصة شأن عظيم، ويظهر ذلك جلياً على الجانبين الحضاري والثقافي والجهادي التحريري، وهذا الشأن لا يمكن لأحد أن ينكره أو يتجاهله، وقد تكلم في هذا الأمر الكثير من الباحثين والمفكرين في مجال دراسة الجماعات الإسلامية الحركية التي كان قوامها التصوف؛ وهو نوع من التربية والسلوك الذي يهدف إلى إحداث نوع من التغيير، والذي أساسه الرقي النفسي والصفاء الروحي، وقد عرف تحولات نقلته من مرحلة التصوف النظري إلى التصوف المؤسساتي، وهو ما يعرف بالزاوية التي كان لها سبق فضل في تربية النشء تربية إسلامية أساسها الحفاظ على ثوابت الأمة الجزائرية وهويتها الوطنية، فأنشأت جيلاً مؤمناً بدينه محباً لوطنه شغوفاً بقضايا وطنه ضد الاستعمار الفرنسي، حيث تحولت الزوايا إلى مراكز التدريب العسكري، وملاجئ للمجاهدين، وأماكن تعقد فيها المجالس السرية تصدر منها الأوامر والتعليمات، ومحاكم وطنية تفصل فيها النزاعات والخصومات القيادية، مما جعلها عرضة للهدم والتخريب، وعرض شيوخها وطلبتها للسجن والنفي والتعذيب والتشنيع، وملخصها قول الأستاذ عمار النجار في جريدة النشر قائلًا: "لقد كانت زواياهم في مختلف جهات الوطن - وهذا لا يمكن إنكاره - مؤنلاً وملجأً لوحدة جيش التحرير".

ومن أهم الزوايا التي تصدت للاستعمار الفرنسي، وكان لها مواقف تبين رفضها التام له زاوية الهامل، فلم يقتصر تأثيرها على الاستعمار الفرنسي فقط بل تعدى تاريخها النضالي المشرف والجيد إلى نشر ثقافة الجهاد والنضال في سبيل الله والمقاومة وفي سبيل العقيدة والأرض، فشاع هذا التأثير على الأوطان، ولعل من أهم القضايا العالقة التي أخذت اهتمام الزاوية تأثيراً وتأثراً بالمسألة الفلسطينية.

وعليه ستعالج هذه الورقة البحثية إشكالا رئيسا مفاده:

ما إسهامات زاوية الهامل في كفاحها التحرري اتجاه القضية الفلسطينية؟

ويندرج تحت هذا الإشكال مجموعة من التساؤلات الفرعية أهمها:

جاءت دراستنا كاشفة عن مدخل نظري للتعريف بهذه الزاوية: فما هو مفهوم الزاوية؟ وما إطارها التاريخي؟ وفيما تمثل نشاطها الديني والتربوي والاجتماعي؟

وجاءت الدراسة التطبيقية توضح الزاوية وتاريخها العلمي والديني والنضالي. إذا فيما تمثلت جهود زاوية الهامل التحريرية؟ وما مدى تأثيرها النضالي على القضية الفلسطينية؟

ومن أهداف البحث نذكر:

تأتي هذه الدراسة لتحقيق جملة من الأهداف تتمثل فيما يلي:

✓ التعريف والتوعية بالدور الكبير الذي تلعبه الزوايا في إعداد الأجيال وتحرير الأوطان لالتفات إلى القضايا العربية الإسلامية العالقة.

- ✓ توضيح القيمة الدينية لزواية الهامل، ومدى إسهامها التحرري للقضية الفلسطينية.
- ✓ محاولة توضيح الارتباط الوثيق بين زاوية الهامل والوطن الفلسطيني والرابط بينهما.
- ✓ محاولة إحياء القضية الفلسطينية في بعض الأذهان والضمائر الغائبة عنها.

تم تقسيم البحث إلى ثلاث محاور أساسية: المحور الأول: الدراسة النظرية لزواية الهامل، وعنوان المحور الثاني: الجهود التحريرية لزواية الهامل، أما المحور الأخير فعنوانه: الفكر التحرري لزواية الهامل وانعكاساته على نصرة القضية الفلسطينية.

2. الدراسة النظرية لزواية الهامل

سنتناول في هذه الدراسة جملة من المفاهيم، والإطلاقة التاريخية، وأهم الوظائف التي قامت بها زاوية الهامل.

1.2 تعريف الزاوية.

1.1.2 تعريف الزاوية لغة: الزاوية في الأصل ركن البناء، وفي اللغة "الزاوية" من الانزواء والانطواء والانعزال والبعد عن حياة العامة والأسواق.

وزوي الشيء أو زواه بمعنى قبضه معه، مما يفيد التركيز والتمكين من الشيء أي نحاه، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض أي تدانوا وتضامنوا.

ويقال أيضا انزوت الجلد في النار: إذا انقبضت واجتمعت، وفي حديث ابن عمر كان له أرض زوتها أرض أخرى: أي قربت منها وقيل أحاطت به مما يفيد معنى الإحاطة والقرب، كما يعني التهيم أيضا. زويت الكلام أي حبسته وأسرته في نفسي¹.

من خلال هذه التعاريف العديدة يتبين لنا التنوع اللغوي الكبير لمعنى الزاوية مما قد يجعلنا إلى معاني كثيرة: كالبعد، الانعزال، الانطواء، والاعتكاف أو القبض والتمكين من الشيء أو التضامن، الركن وأساس البناء، وكلها مفردات ذات دلالات متقاربة أحيانا ومختلفة أحيانا أخرى، فأبي المعاني التي يمكن أن نطلقها ونحددنا للزاوية؟ وإلى أي مدى يمكن أن نلاحظ حضور هذه الدلالات من خلال متابعة لوظائف الزاوية ودورها الاجتماعي؟² وهل كانت ومازالت مؤسسة الزوايا تمثل ذلك الركن وحجر الزاوية في البناء الاجتماعي من خلال حضورها ومساهمتها في الجوانب السياسية، والدينية والتربوية... الخ، أم أنها مازالت تمثل نفس الدور القديم المتجدد والذي تعبر عنه معاني الابتعاد، والانعزال والانطواء والاعتكاف للعبادة في ظل الفراغات السياسية الطائفية وتدهور الأوضاع المعيشية؟³

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط. 3، 1414، ج: 14، ص: 363، 364، 365. مجمع اللغة العربية - إبراهيم مصطفى أحمد الزيات وآخرون -، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت، ج: 1، ص: 408.

² العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر من التحول الديني إلى النيوي ومن المقدسي إلى السياسي - دراسة أنثروبولوجية -، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة بسكرة، الجزائر، ع: 15، جوان 2014، ص: 128.

³ العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر من الديني إلى النيوي ومن المقدسي إلى السياسي - دراسة أنثروبولوجية - المرجع السابق، ص: 128.

2.1.2 تعريف الزاوية اصطلاحاً:

جاء في (المعجم الوسيط): الزاوية: المسجد غير الجامع ليس فيه منبر ومأوى للمتصوفين والفقراء¹. وهي ركن من أركان المسجد اتخذت للعبادة، ومع مرور الوقت اتخذت شكلاً جديداً على هيئة دور تقام للدراسات العلمية والدينية، وقد اتخذتها الصوفية مكاناً لإقامة حلقات الذكر فيها². ويتضح من خلال التعاريف السابقة أن الزاوية شكلها شكل الجامع، وقد يكون غير ذلك دون وجود منبر، ثم أصبحت مؤسسات دينية تقوم على برامج لتدريس الطلبة وتلقينهم مختلف العلوم.

2.2 نبذة عن زاوية الهامل:

تعرف زاوية الهامل³ باسم الزاوية القاسمية، هي زاوية إسلامية تتبع الطريقة الصوفية الرحمانية وتقع في بلدة الهامل بولاية المسيلة، الجزائر تأسست الزاوية عام 1863 ميلادية على يد الإمام والعالم الإسلامي محمد بن أبي القاسم. تضم الزاوية مسجداً ومدرسة بالإضافة إلى ضريح الشيخ محمد بن أبي القاسم العاملي⁴. تقع الزاوية القاسمية في الجنوب الغربي من مدينة بوسعادة، على المرتفعات المتاخمة لجبال أولاد نايل. تنتسب الزاوية إلى مؤسسها الإمام المربي والعالم الرباني، الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، الشريف الحسني، رحمه الله وطيب ثراه، المتوفى في مطلع شهر المحرم 1315هـ (02 جوان 1897م). أسس الشيخ زاويته، وعمرها في بيته الكائن برحاب المسجد العتيق، سنة 1260هـ/1844م، في فترة مقاومة الأمير عبد القادر؛ حيث بلغ عدد طلبته، آنذاك، ثمانين طالباً، كان يتولى تعليمهم، ويتكفل بنفقات إقامتهم. بنى زاويته الحالية، وعمرها في مطلع شهر محرم 1280هـ/1864م. وتضم عدّة مرافق، أهمها: المسجد الجامع، وبيت القرآن، وبيوت الطلبة، وقاعات إطعام الطلبة، وسكن شيخ الزاوية، وسكنات لإيواء الزائرين⁵.

¹ إبراهيم مصطفى أحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص: 408.

² عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، دار الكتب، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت، ص: 132، 133.

³ أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيع بن الولي العارف بالله سيدي محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن المنصور الشريف الحسني، مالكي المذهب، أشعري العقيدة، ينتسب للطريقة الرحمانية، جزائري المسكن، من المشايخ العارفين ومن العلماء الراسخين، وكان يلقب بقدوة الفريقين، كان من مشايخ الصوفية، كانت له كرامات وأسرار والمقامات والمكانات العلمية، ولد بالحامدية ضاية الحرث على جبل تاسطارة وهي بلاد أولاد لغويين فريق أولاد سي محمد في رمضان سنة تسعة وثلاثين بعد المائة والالف، ومن اسم الحامدية المولود فيها أخذ الفال فحمده أهل السماء وأهل الأرض. حفظ القرآن في زاوية الولي سيدي السعيد بن أبي داود بزواوة، برع في المذهب المالكي، وفي سنة خمس وستين ومائتين وألف ابتداء التدريس ببلدية الهامل، فأصبحت به زاوية، وأتحال له الخلق لطلب العلم. توفي يوم الأربعاء ثاني محرم سنة 1315 في بوية السحاري، الجلفة. ينظر: أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بير فوتنانة الشرقية، الجزائر، د. ط، د. ت، ص: 336-342.

⁴ حبيب كاكي، زاوية الهامل، بحث منشور على شبكة الأترنت، <https://archiqoo.com>, 27/09/2021. للتفصيل يراجع: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط. 1، 1830-1954، ج: 3، ص: 218، 223.

⁵ مشيخة الزاوية القاسمية الهامل، زاوية الهامل القاسمية التاريخ والواقع والآفاق، بوسعادة، المسيلة، د. ط، 1441هـ/2019، ص: 2.

3.2 خارطة زاوية الهامل التاريخية.

زاوية "الهامل" الرحمانية ببوسعادة: اشتهرت هذه القرية الصغيرة وذاع صيتها مع تأسيس "مقام الهامل الديني" الصوفي خلال القرن السادس الهجري، حوالي القرن الثالث عشر ميلادي، على سيدي عبد الرحمان بن أيوب، وعمه سيدي أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الله بن سيدي بوزيد جبل راشد قرب آفلو بالأغواط، وكان الغرض من تأسيس هذا المقام هو نشر تعاليم الدين الإسلامي وسط أهالي المنطقة. أما تأسيس الزاوية التعليمية فكان على يد الشيخ محمد بن بلقاسم، سليل سيدي بوزيد خلال القرن التاسع عشر الميلادي¹. ويعود تاريخ تأسيس الزاوية إلى سنة 1863².

بعدما نحل الشيخ (الهامل) من العلوم الدينية والدنيوية، جاء دوره في تأسيس زاوية الهامل حيث قامت الهيئة التي أسست في الثلاثينيات من القرن العشرين. وعندما تأسست الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية في غرة المحرم 1410هـ - 03 أغسطس 1989م؛ اختار رجالها زاوية الهامل القاسمية مقراً للرابطة، وانتخبوا شيخها رئيساً لها. التقى الأمير عبد القادر، في ناحية التيطري، بجبل البيضاء، غير بعيد عن البيرين، ولاية الجلفة، وكانت نيته الالتحاق بصوف جيشه، غير أنّ الأمير طلب منه أن يستمر في أداء رسالته التربوية والتعليمية لأبناء المسلمين؛ وقد توطّدت علاقة الشيخ بالأمير، فكانت بينهما مراسلات من الجزائر، ثمّ من الشام، وما تزال بالزاوية بعض رسائله وقطع من أسلحته، ولم تنقطع علاقة عائلته من بعده بالزاوية وشيوخها³.

أسس زاويته الأولى، في بيته بجوار المسجد العتيق؛ فتوافد عليه الطلاب من المناطق المجاورة لتلقي العلم، وزاد عددهم على ثمانين (80) طالبا، كان الشيخ يتولّى تعليمهم ويتكفل بنفقاتهم.

ولبلوغ مقام الإحسان الذي كانت تتوق إليه نفسه الزكية؛ قيّض الله له الشيخ المختار بن عبد الرحمن بن خليفة، مؤسس الزاوية المختارية، في أولاد جلال، الذي دعاه إلى زاويته، فلزمه فيها، مدّة خمس سنوات، (من سنة 1273هـ/1856م إلى سنة 1278هـ/1861م) أمضاها مدرّسا لطلبتها، مصاحبا لشيخها الذي أجازته، وسلك على يديه، وأخذ عنه أورايد الطريقة الرحمانية الخلوتية؛ ثمّ خلفه بعد وفاته على رأس زاويته قريبا من سنة⁴.

عاد الشيخ إلى بلدة الهامل، فبنى زاويته العامرة، في أحضان عمران، لنشر العلم والعرفان، وذلك سنة 1280هـ/1863م. حيث سخر حياته للتربية والتعليم، وإصلاح ذات البين، وإيواء أبناء السبيل، وسدّ حاجة المحتاجين؛ ونذر نفسه لنصرة المجاهدين، فأزر وساند الثورات الجهادية: للشيخ ابن الحداد والمقراني؛ والزعاطشة؛ ووادي مجدل. كما آوى ما يزيد على ثمانين (80) أسرة من عائلة المقراني. عني الشيخ رحمه الله، بالكتب وجمعها

¹ محمد صاحبي، مخطوطات زوايا الجنوب الجزائري (أدرار، بوسعادة، بسكرة): مقارنة تاريخية - بيبليوغرافية، جامعة وهران، قسم البيبليوغرافية، الجزائر، ص: 7.

² صلاح مؤيد العقي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، د. ط، د.ت، ص: 380.

³ مشيخة الزاوية القاسمية الهامل، زاوية الهامل القاسمية التاريخ والواقع والآفاق، المرجع السابق، ص: 2-4.

⁴ المرجع نفسه، ص: 2-4، ص: 4، 5.

واستنساخها؛ وبالأراضي الفلاحية واستصلاحها، وبناء السدود والسواقي لريها؛ كما تشهد سيرته برعايته اليتامى وتنمية أموالهم واستثمارها لبناء مستقبلهم¹.

من خلال استقراء النصوص التاريخية حول نشأة زاوية الهامل، يتبين أن الزاوية لها جذور تاريخية قديمة، مما يدل على أصالتها وأنها لعبت دورا كبيرا قبل الاحتلال الأجنبي وبعده، خاصة على المستوى التربوي والتعليمي والاجتماعي.

4.2 نشاط الزاوية العلمي والتربوي والاجتماعي.

سنحاول في هذا الفرع إلقاء الضوء على الوظائف التربوية والتعليمية للزاوية في بيئة سادها فراغ روحي علمي كبير خاصة في مرحلة عصيبة، وهي مرحلة الاستعمار الفرنسي.

من الوظائف العامة التي قامت عليها زاوية الهامل ما يلي²:

- تحفيظ القرآن الكريم للصغار والكبار ونشر العلوم العربية والعلوم الإسلامية.
- الاتصال الدائم بالأمير عبد القادر في منفاه وتلقي التوجيهات منه.
- تقديم العون المادي للاجئين من العلماء وطلاب العلم في كل من مصر والشام.
- تمكين روابط الصلة مع المجاهدين داخل الوطن أمثال الشيوخ الحداد، المقراني، بوعزيز الماضي، وغيرهم والتشاور معهم.
- الابتعاد عن الشبهات التي تمس مجد الوطن وكرامة الأمة.
- تباعد الزاوية كل البعد عن الخرافات والدجل والبدع والشعوذة.
- إضافة إلى هذه الوظائف فقد أصبحت الزاوية بعد سنوات قليلة من تأسيسها³:
- مركز حضاري يستقطب العديد من العلماء والباحثين.
- معهدا إسلاميا كون العديد من العلماء والفقهاء والمدرسين، وأجيز منها جمع غفير من العلماء: مثل عبد الرحمان الديسي، والشيخ عبد السلام التازي ومحمد العاصمي والحفناوي
- مركزا روحيا لأتباع الطريقة الرحمانية.
- تخرج من الزاوية آلاف الطلبة على امتداد قرن ونصف، حيث بلغ عددهم في السبعينات 1500 طالب بحصيلة علمية تؤهلهم للالتحاق بالمعاهد الإسلامية.
- تواصل الزاوية القاسمية أداء رسالتها التعليمية، والتربوية والاجتماعية، مسخرة جهدها لتعليم القرآن الكريم، ونشر هدايته؛ وإرساخ مبادئ الإسلام وإحياء قيمه؛ وإصلاح المجتمع بالدين القيم والتوجيه الراشد؛ وتعمل جاهدة لتوثيق أواصر الأخوة والوحدة بين أفراد المجتمع، وحمايته من مخاطر التنصير، ومن الأفكار الهدامة، والدعوات المشبوهة، والنزعات الطائفية المفرقة، والتيارات الدينية المتشددة.

¹ مشيخة الزاوية القاسمية الهامل، زاوية الهامل القاسمية التاريخ والواقع والآفاق، المرجع السابق، ص: 5.

² صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 384-385.

³ ينظر: مشيخة الزاوية القاسمية الهامل، زاوية الهامل القاسمية التاريخ والواقع والآفاق، المرجع السابق، ص: 2، 3، 4.

3. الجهود التحريرية لزاوية الهامل

نتناول في هذا المطلب النظرة التاريخية والسياسية الحافلة بكثير من الاحداث على ذكر مقتطفات من موقف زاوية الهامل تجاه القضية الوطنية، واحتضانها لثورة أول نوفمبر ودعمها الدائم والتفاف شيوخها وطلبتها حولها.

1.3 موقف زاوية الهامل من المقاومات الشعبية والثورة التحريرية.

1.1.3 موقف زاوية الهامل من المقاومات الشعبية:

عمل الشيخ محمد بن أبي القاسم جاهدا في سبيل رفع الظلم والغبن عن أبناء جنسه، بغيرته على وطنه وتمسكه الشديد بدينه، وظل يحمل في قلبه أمل الحرية والاستقلال إلى آخر رمق في حياته، وهو ما تؤكد له روايات الشفوية المتداولة من كراهيته الشديدة للاحتلال الفرنسي، وليس للشعب الفرنسي. حاول في مطلع حياته الانضمام إلى مقاومة الأمير عبد القادر، وظلت علاقته بالأمير جيدة حتى بعد نفي الأمير إلى بلاد الشام¹.

والمناطق التي عاش فيها وانتقل عليها كلها حبا بالثورة وقيم الجهاد:

- منطقة الهامل وعرفت ثورة ابن شبيبة المؤيدة لثورة الزعاطشة.
- منطقة القبائل واستقر بها من سنة 184 - 1848 وبها أتباع الأمير.
- منطقة أولاد جلال التي انتقل إليها بعد عودة الشيخ المختار من المنفى، واستقراره مجددا من بزوايته. بعد فشل ثورة 1849.

ويضاق إلى هذا علاقته برجال المقاومة والانتفاضات الشعبية وعلاقته بشيوخ الزوايا الأخرى وكذلك علاقته بالثوار وأسرهم، كابن باديس والمقراني والحداد والأمير عبد القادر².

2.1.3 موقف زاوية الهامل من الثورة التحريرية:

لم تكن زاوية الهامل قبيل اندلاع الثورة التحريرية بمعزل عن الأحداث الدائرة حولها فقد كان لشيوخها احتكاك واسع بكل فئات المجتمع واهتمام بالغ بقضاياها، وإطلاع على كل ما يدور في الساحة الجزائرية والعربية وبذل شيوخ الزاوية جهودهم في شحذ نفوس الطلبة وإلهاب الروح الثورية والوطنية فيهم، فكان لهذا العمل أثره البالغ فيما بعد على خريجي الزاوية وطلبتها الذين التحقوا بالثورة، ومنهم الشهيد بلقاسم قرين أحد أوائل الشهداء. وبرهنت بذلك على مواقفها المشرفة من عهد المقاومة الشعبية لتتفاعل من جديد مع ثورة التحرير، إذ كانت الانطلاقة الفعلية للثورة بالهامل من الزاوية نفسها³.

¹ بتكليف: محمد المأمون القاسمي الحسني، الزاوية القاسمية بالهامل، مقتطف من كتاب عبد المنعم القاسمي الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، لإعداد: رياض قندوز بحث: المواقف السياسية لزوايا الهامل من الثورة التحريرية الوطنية والاستعمار الفرنسي وأثرها التحريري على القضية الفلسطينية، بوسعادة، المسيلة، 2019، ص: 6.

² المرجع نفسه، ص: 6، 7.

³ عبد المنعم القاسمي الحسني: زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، نقلا عن وفاء بن علي، زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية، جامعة بوزريعة الجزائر، د. ك، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: التاريخ الحديث المعاصر، 2007-2008م، ص: 123.

ولجى هذا النداء كل راغب للاستقلال من بينهم منطقة الهامل لأنها لم تكن بمعزل عن الأحداث الدائرة حولها عن طريق احتكاك الزاوية بمختلف فئات المجتمع¹.

ومن أبناء الزاوية الذين شاركوا في الثورة²:

الشهيد نور الدين القاسمي الحسني: (1934-1956م).

الشهيد فاروق القاسمي الحسني: (1938-1962م).

الشيخ محمد المكي القاسمي الحسني: (1903 - 1967م).

الشيخ عبد الحفيظ القاسمي الحسني: (1912-1969م).

الأستاذ أحمد القاسمي الحسني: (1928 - 1983م).

الشيخ محمد بنعزوز القاسمي الحسني: (1906 - 1984م).

الشيخ الأزهري بن المكي القاسمي الحسني: (1926 - 1998م).

أبو القاسم بن محمد الصغير القاسمي: (1933...).

ومن طلبة الزاوية المساهمين أيضا في الثورة³:

الإسم واللقب	المنطقة	الرتبة	تاريخ ومكان الاستشهاد
حاشي عبد الرحمان	الجلفة	قائد	1958 بواد الغدير
إسماعيل السعيد	تيزي وزو	ملازم	1958 القعدة
كربوعة سالم	حاسي ببح	مسؤول سياسي	1959 جبل الشارف
قربشي محمد	البيض	كاتب الولاية 6	1959 الجلفة
جدروبة رايح	تيزو وزو	جندي	1957 ديرة
كحول محمد	سكيكدة	مسؤول كتيبة	1957 سكيكدة
شقرن أحمد	المسيلة	عريف	1959 كاف الأخضر
بقة محمد	حاسي ببح	مسبل	1961 الجلفة
مقراني محمد	الهامل	كاتب	1957 مناعة
نور الدين القاسمي	الهامل	جندي	1956 طاقين جبل مقسم

¹ نسمة قديدة، موقف الطريقة الرحمانية من الاحتلال الفرنسي " 1962- " زاوية الهامل ببوسعادة 1863 أنموذجا، جامعة محمد خيضر

بسكرة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ معاصر، ص: 95.

² للتفصيل ينظر: عبد المنعم القاسمي الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، المرجع السابق، ص: 33-39.

³ المرجع نفسه، ص: 39، 40.

عاشور قدور	الهامل	مسبل	1956 طاقين جبل مقسم
بلقاسم منير	الهامل	جندي	1957 الزرقاء الهامل
حساني بولنوار	الهامل	رئيس بلدية	1958 القـــــرارة الظهاوية
نواربي عطية	الهامل	مسبل	1959 بون فرنسا
عاشور البشير	الهامل	مسبل	1959 فوغالة بسكرة
الأطرش علي	الهامل	جندي	1961 عين الإبل (الجلفة)
حسن بلقاسم	الهامل	جندي	1962 درمل (الهامل)

ومجمل القول على أن زاوية الهامل كانت تدعم ثورة أول نوفمبر وتقر بها، ويظهر ذلك جليا من خلال مشاركة عدد لا بأس من شيوخها وطلبتها في الثورة التحريرية وشغلوا مراكز مهمة منها.

2.3 موقف الاستعمار الفرنسي من زاوية الهامل.

لد تكتفت الزوايا والمدارس القرآنية في مواجهة سياسات الاستعمار الفرنسي المتمثلة في ساسة الفرنسة والتنصير لطمس معالم الهوية العربية الاسلامية والوطنية، مما أثار حافظة فرنسا ضد هذه الزوايا، ومن بينها زاوية الهامل.

1.2.3 -موقفها من الشيخ الهامل -شيخ الزاوية :-

وقد دفع نشاط الشيخ الهامل بفرنسا إلى مراقبته، بالرغم من أنه لم يظهر اهتمامه للسياسة، فظل تحت تقارير الاستخبارات الفرنسية دائمة التحذير منه ومن اتساع نفوذه، ففي تاريخ 30 جانفي 1882 رفع على جناح السرعة تقرير يخبرها رئيس طريق يسكن قرب بوسعادة له علاقات سرية مع علي بن خليف، ويفكر في تنظيم انتفاضة في كل المناطق المجاورة وجاء أيضا ضرورة مراقبة الشيخ وأخذ الحيطه والحذر منه. واستمر الحال وبقي الشيخ مصدر قلق بالنسبة للسلطات الاحتلالية، تحشاه وتخشى تحركاته إلى آخر يوم من حياته¹.

2.2.3 موقفها من زاوية الهامل:

سعى الاستعمار الفرنسي إلى تخريب وهدم زاوية الهامل، وذلك من خلال المداهمات التي قام بها نخب وأتلف كثيرا من الوثائق والمخطوطات التي لها صلة وثيقة بالثورة التحريرية فلم يبق منها سوى مئتين مجلد مخطوطا بعدما كان خمس مائة مجلدا، بالإضافة إلى بعض المراسلات والوثائق المتعلقة بثورتي الأمير عبد القادر والمقراني وهو يحاول البحث عن المجاهدين².

¹ عبد المنعم القاسمي الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، نقلا عن: rapport des -en-Provence aom archives doure-mer aix.

² ينظر: صلاح مؤيد العقي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، المرجع السابق، ص: 384.

مما يدل على أن زاوية الهامل كانت ملجأً للمجاهدين إبان الثورة التحريرية، وهذا ما دفع الاستعمار الفرنسي للقيام بتلك الأفعال الشنيعة.

ومن أجل مراقبة أنشطة الزاوية بشكل جيد فرضت سلطات الاحتلال على الشيخ مصطفى إعارة قسم من أقسام الدراسة ليكون تابعا للمدرسة الفرنسية في القرية، وعينت معلما فرنسيا يقوم بالتدريس فيه، وهي مهمته الظاهرة، بينما كانت مهمته الحقيقية قيامه بدور المخير الأمني لفرنسا، لكنه سرعان ما تعرض للقتل¹.

قامت السلطات الفرنسية بعد تفجير ثورة نوفمبر بتشكيل ثكنتين لجنودها: ووزعت الأول على مدخل الزاوية والأخر على واجهة مدخل القرية.² وبعد ذلك لجأت السلطات الفرنسية إلى سجن الشيخ مصطفى ووضعته تحت الإقامة الجبرية دون تعرضه لأي سوء لافتقار الأدلة، وإدراكها أن إلحاق الأذى بالشيخ يجرها إلى عواقب وخيمة. وظلت السلطات الفرنسية ترصد تحركات الشيخ³. وأمام قوة نشاطات الشيخ وتحركات ابنه الخليل، لجأت السلطات إلى سياستين هما: زيارة ضباط فرنسيين إلى الزاوية من أجل إظهار أنفسهم بمظهر المحترم لعادات الأهالي، وبغرض آخر هو تشويه سمعة الزاوية، لكن هذه الأساليب لم تؤثر على الزاوية لإدراك قادة الثورة التحريرية على إخلاص ووفاء شيوخ الزاوية وطلابها للثورة التحريرية ورفضهم القاطع للاحتلال الأجنبي⁴.

من خلال ما سبق يتبين أن زاوية الهامل لعبت دورا كبيرا أثناء تواجد الاحتلال الأجنبي، مما جعل السلطات الفرنسية تبدي تدمرا كبيرا من شيوخ الزاوية وطلبتها، ويظهر ذلك من خلال ممارساتهم العنيفة اتجاههم.

4. الفكر التحرري لزاوية الهامل وانعكاساته على نصرة القضية الفلسطينية:

باعتبار الزوايا هي مؤسسات دينية قائمة في عملها الديني على ركيزة التصوف، وتتمص جميع الأدوار الدينية والعلمية والثقافية والسياسية وهذا مما جعلها تحتل المكانة الهامة الاجتماعية والوطنية والعالمية.

ويراهن الكثير من الباحثين والعلماء حاليا، على قدرة الحركة الصوفية وخطابها في التعبير عن الشكل المستقبلي للإسلام والمسلمين، أكثر من ذلك يرى الكثير وفق رؤية نقدية جديدة إمكانية توظيف الحركة الصوفية، وخطابها الديني والإجتماعي والسياسي لفهم واقع المجتمعات العربية والإسلامية، وتقديم الحلول العملية للكثير من المشاكل التي تواجه الفرد والمجتمع، بحيث ينطوي التصوف الإسلامي على حلول واقعية وعملية، لمختلف الأزمات السياسية والاقتصادية،

¹ الحاج مزاري، الهامل مركز إشعاع، ثقافي وقلعة للجهاد والثورة، دار الحكمة، بلوزداد، الجزائر، د. ط، 1993، ص: 20.

² ينظر: الحاج خليل القاسمي، من وحي الذاكرة، مذكرات حول الثورة، إعداد السيد محمد فؤاد القاسمي، مرقونة لدى غبنة محمد فؤاد القاسمي، ص: 50.

³ ينظر: وثائق المكتبة القاسمية بزاوية الهامل، ص: 109.

⁴ ينظر: وفاء بن علي، زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص، 120.

والاجتماعية والثقافية والحضارية، التي تساعده على التصدي والاستجابة المختلف التحديات المعاصرة، التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية، إما على المستوى الخارجي، وفي ح علاقات الصراع مع المحيط الدولي...¹.

1.4 الارتباط الديني للقضية الفلسطينية بزوايا الهامل:

تنتشر الطريقة الخلوتية بشكل أساسي في فلسطين، حيث تتواجد طريقة القاسمي الخلوتية الجامعة في مختلف مناطق البلاد وخصوصا في مدينة الخليل، وشيخها هو العالم الجليل الشيخ عبد الرؤوف حسني الدين القاسمي، رئيس مجلس أمناء مؤسسات القاسمي، ومن مؤسساتها كلية القاسمي في منطقة باقة الغربية.

والطريقة الخلوتية أو الرحمانية التي هي الطريقة تتبعها زاوية الهامل وهي أحد الطرق الصوفية السنية نسبة إلى محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي، وهو من أئمة الصوفية في خراسان في القرن العاشر الهجري المتوفى في مصر سنة 986 هـ، والخلوتي نسبة إلى الخلوة الصوفية كان من أتباع الطريقة السهروردية وأخذ التصوف عن إبراهيم الزاهد، ثم استقل بطريقته، وتفرد لجمع الأتباع وتعليم المريدين. لها منابع وصلات لبقاع فلسطين؛ حيث كان من عادة الشيخين الرافعي ومحمد الجسر يخرجا لزيارة الحرم القدسي ومقامات الأنبياء والصالحين في بقاع فلسطين فينطلقا مع جموع غفيرة من طرابلس إلى بيروت إلى يافا وينظم إليهما بعض خلوتية صيدا ويافا ويتوجهون إلى القدس والخليل واللد والرملة.

ومما سبق: يتبين أن طريقة الخلوتية امتدت إلى لبنان وفلسطين عن طريق خلفاء الشيخ الصاوي الذين أذن لهم بنشر الطريقة في بلاد الشام وفلسطين وهم:

- الشيخ محمود الرافعي الطرابلسي
- ومحمد الجسر الطرابلسي (خليفة)
- وحسن بن سليم الدجاتي مفتي يافا (خليفة)².

والطريقة الخلوتية واحدة من الطرق المعروفة للمتصوفين في فلسطين بصورة واسعة، وكان لابد من الوقوف عندها ودراستها، خاصة أنها تحاول تعميق نفسها في المجتمع وتواكب روح العصر ومستجداته، فقيام أتباع الطريقة بعقد مخيمات صيفية لأبناء المجتمع دليل على ذلك، وأخذهم على عاتقهم مسؤولية بناء وقيادة مؤسسات تربوية مثل أكاديمية القاسمي التي تخرج المئات من الطلبة كل عام يؤكد محاولة انخراطهم في المجتمع وليس الاعتزال³.

¹ بكاي رشيد، سلطة الخطاب الصوفي في الجزائر أدوار التنظيمات الصوفية (الطريقة) خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر من المقاومة الشعبية المسلحة إلى المقاومة السياسية الثقافية دراسة تحليلية نقدية: (1832م-1954م)، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، أطروحة دكتوراه، مكملة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص: علم الاجتماع الديني، 2012-2013، ص: 301.

² ينظر: دار الإفتاء، طريقة القاسمي الخلوتية الجامعة، بحث منشور على شبكة الأنترنت، <https://www.alqasimy.com>، 24/09/2021.

³ سهير محمد يوسف قاسم، الطرق الصوفية وتراثها في فلسطين (الخلوتية، والنقشبندية، والعلوية)، جامعة بيرزيت، فلسطين، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: الدراسات العربية المعاصرة، 2005-2006، ص: 78.

والملاحظ أن أكاديمية القاسمي تشترك مع زاوية الهامل - برنامج المؤسسة الداخلي- في الطريقة وهي الخلوتية الرحمانية وكلاهما مدرسة سلوكية روحية وأخلاقية أي لها نفس الدور في التربية وتنشئة الأجيال وتعليمهم القيادة وروح المسؤولية بالإضافة إلى الدور الأساسي في التعليم وتحفيظ القرآن والمتون وتعليمهم الطريقة والتزكية وعلم الاخلاق وما يعرف بالتصوف الإسلامي وهذا ما لاحظته الباحث بصفته طالب لدى الزوايا وطريقة تدريسهم.

2.4 مقتطفات في دعم القضية الفلسطينية:

يذكر البيتاوي خطيب المسجد الأقصى المبارك: أن من أهم النماذج الحيوية الواقعية للتربية الصحيحة تحت حراب =الصواب: حرب= الاحتلال لأقطار الأمة المسلمة؛ المدارس الدينية التي أنشأها الإمام «أبو حامد الغزالي» وكذلك الشيخ عبد القادر الجيلاني، والتي خرّجت أفواجاً وأعداداً كبيرة ممن ترثوا على الإسلام، فجاهدوا الصليبيين والتتر والمغول وطردهم من بلاد المسلمين ماضياً. وفي الحاضر -يضيف الشيخ البيتاوي - : هناك مجاهدو كتائب القسام الذين تربوا على فكر حركة حماس التابعة لحركة الإخوان المسلمين، وكذا الاستشهاديون من أبناء الشعب الفلسطيني الذين تربوا على الإسلام، كما تربى المجاهدون الأفغان قبلهم وهو ما مكنهم من طرد الشيوعيين من بلادهم¹.

كما يشير بسّام جرّار إلى تجربة «ابن باديس» في الجزائر، ويعدها من أهم التجارب الناجحة «فقد استطاع هذا الشيخ الجليل أن يبدأ مشروعه التربوي بهدوء واتزان مرتقياً حالاً بعد حال حتى استطاع أن يُقعد الأسس اللازمة لقيام الثورة الجزائرية التي أدت إلى خروج المحتل الفرنسي واستقلال الجزائر بعد احتلال شرس دام أكثر من مائة وثلاثين سنة. بدأ ابن باديس بتدريس اللغة العربية وتفسير القرآن الكريم في مساجد قسنطينة، وعندما أحسّ بنضوج الفكرة قام عام 1931م بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي حملت على كاهلها مسؤولية نهضة الجزائريين في مواجهة (الفرنسة) التي عملت على اجتثاث كل ما هو إسلامي وعربي. لقد جاء ابن باديس بعد مائة عام من الاحتلال ليضع أسس التربية التي أعادت إلى الأمة الجزائرية ذاتيتها الحضارية فكان ذلك المقدمة الضرورية لهزيمة المشروع التغريبي الاستعماري، وكان البعث المؤدي إلى الاستقلال. ولا تزال المسيرة مستمرة في سبيل الخلاص من آثار التخريب الذي استمر لأكثر من مائة وثلاثين عاماً».

ويعتبر إريك جيوفروي:

اعتبر المستشرق الفرنسي المسلم "إريك جيوفروي" (المختص في الصوفية بجامعة لوكسمبورج، شمال فرنسا) أن المستقبل في العالم الإسلامي سيكون حتماً للتيار الصوفي.

¹: حامد البيتاوي، صالح الرقب وآخرون، كيف نربي أبناءنا تحت حراب الاحتلال، البحوث التربوية في مجلة البيان، د.ع، م. 1، د. ت، ص: 554، 555.

وفي هذا الحوار الخاص لـ "إسلام أون لاين. نت" يعتبر المستشرق الفرنسي -الذي عاش في القاهرة وعدة مدن خليجية- أن العمل السياسي الإسلامي لا يتوفر على قوة الروحانيات التي تمتلكها الصوفية، نافيا في ذات الوقت أن تكون الصوفية منفصلة عن واقعها الاجتماعي والسياسي¹.

- إذا أخذنا فلسطين كمثال، فيجب أن نعلم أن هناك صوفية يسعون إلى لقاء رجال روحانيين يهود من أجل تحقيق السلام، فهناك الطريقة الإبراهيمية التي تعمل بكفاءة في الأراضي المحتلة، لماذا الإبراهيمية؟ لأن إبراهيم هو أصلنا جميعا، وهذه الطريقة تدعو إلى عدم استعمال العنف من أجل تجاوز المأزق السياسي. ولكن هناك طرقا صوفية أخرى تناضل ضد إسرائيل أيضا، ولكن بطريقتها. فعندما ننظر إلى الطرق الصوفية في سوريا نجد أنها تقوم بدور بارز في الدعوة إلى الصمود ضد التدخل الخارجي اليوم. وعندما نعود أيضا إلى الطريقة السنوسية في ليبيا سنلاحظ أن الصوفية قاومت الاستعمار الإيطالي، كما أن الزوايا المغربية في القرن الثالث عشر قاومت الاستعمار البرتغالي.

هذا لا يعني أن الزوايا كانت دائما مراكز مضيئة، ولكن هناك من الزوايا من تستجيب لروح الصوفية الحقة التي تتميز بالانفتاح².

وفيما يتعلق بنموذجية الحالة الفلسطينية ترى الأستاذة سميرة الحلايقة أن فلسفة المواجهة وجدت مع أول بدايات الاحتلال، كما وجدت الثقافة المكتسبة لمواجهة ممارساته. وبالرغم من عمليات القتل والإبادة والأسر وهدم المنازل ومصادرة الأراضي والحريات العامة والخاصة؛ إلا أن جيلاً فلسطينياً فريداً يخرج في كل مرحلة ليقود المواجهة مع هذا المحتل.

وميدانياً يقطف لنا فضيلة الدكتور وائل الزرد من غزة الثمرة العملية للتربية في قطاع غزة تحديداً، وأنها السبب الرئيس الذي جعل الاحتلال لا يقوى على دخول هذا القطاع -بفضل الله تعالى- في حربه الأخيرة، ولولا نهج التربية الذي نهل منه الشباب لسادت الفوضى والفلتان الأمني، حتى عندما دخل المجاهدون بيوت بعض المواطنين خلال الحرب وقبل أن يستفيدوا من أي شيء -لتربيتهم- اتصلوا بأهلها أو قيادتهم، وبعضهم أحصى الذي أخذه ثم أعاد ثمنه إلى المواطنين. وليس هذا وليد اللحظة بل هو عمل تربوي دائم في المساجد والبيوت والأسر الدعوية عبر الكثير من الأنشطة؛ كما يقول الشيخ الزرد³.

3.4 مساهمة زاوية الهامل في دعم ونصرة الحركة التحررية الفلسطينية:

أشاد المأمون القاسمي الحسيني المتحدث باسم زاوية الهامل والذي يعتبر شيخ الزاوية، بمناسبة الذكرى الـ 59 لعيد النصر والمصادف لـ 19 مارس من كل سنة، وكذا بمناسبة ليلة الإسراء والمعراج التي تشكل حدثاً دينياً هاماً وتاريخياً عريقاً على أن أرض فلسطين هي جزء من التراث الإسلامي، ودعا في خطابه "الجزائر مع فلسطين في السراء والضراء"،

¹ هادي يحمّد، الصوفية هي الحل، بحث منشور على شبكة الأنترنت، <https://wwwalmuada.4umer.com>، 09/29/2021.

² هادي يحمّد، الصوفية هي الحل، المرجع السابق، 09/29/2021.

³ حامد البيتاوي، صالح الرقب وآخرون، كيف نربي أبناءنا تحت حراب الاحتلال، المرجع السابق، ص: 555.

وبذكر مناقب وبطولات القضية الفلسطينية وجعلها منبر حركة التحرر المبني على قيم ومبادئ الإيمان والبناء الروحي السليم وصيانة الأوطان وكرامة الإنسان، والوسائل الصحيحة والسير على خطى المؤسسات الدينية ومنها زاوية الهامل التي هي منطلق الجهاد إبان الاستعمار الفرنسي وألا يتحقق تحرير أرض فلسطين إلا بالامتنان للسابقين على نهجهم وخطاهم. كما دعا إلى دعم وتضامن الشعب الجزائري مع شقيقه الشعب الفلسطيني، واعتبر أن هذه القداسة تقتضي حسبه جمع المسلمين لأمرهم وأداء واجبهم نحو القضية الفلسطينية ذات الأبعاد الدينية والتاريخية والسياسية والثقافية، كما يعد تحرير الشعب الفلسطيني لوطنه مرهون باختيار وحدة الصف واختيار الأسلوب، وكما قال الشيخ¹.

وقد ثمن محمد مأمون القاسمي في خطابه أيضا بعنوان " أن الوقت لوقف فضيحة التطبيع مع الصهاينة؛ حيث دعا فيه الأمة العربية الإسلامية قاطبة إلى دعم القضية الفلسطينية ومناصرتها ودعم صمودها لمواجهة العدو الصهيوني الغاصب. كما حذر من الانتهاكات الخطيرة التي مارسها هذا الكيان على أبناء الشعب الفلسطيني مناشدا الدول الإسلامية رفض ما يسمى بصفقة القرن، والتمسك بحقوق الشعب الفلسطيني من الضياع، وطرح مسألة حق عودة اللاجئين إلى وطنهم واحترام السيادة الوطنية والهوية وعاصمتها هي القدس.

كما دعا مأمون القاسمي الأمة الإسلامية إلى التآزر والوقوف مع الشعب الفلسطيني إلى انتفاضة الأقصى وأن هذه المعركة طويلة من أجل التحرر، وأن ما يبعث على القلق هو تواطئ بعض حكام الدول العربية مع الكيان الصهيوني! وشنع هذا الفعل وبين خطره على العالم الإسلامي! لكن واصل خطابه ببعض الأمل، لأن الأمل معقود على الشعوب أن تقف صفا واحدا ومنيعا لمواجهة التطبيع الظلم والعمل على إفشاله وإزالته والقضاء على تصفية كل ما يمس بالقضية الفلسطينية.

وقد أصدر شيخ الزاوية القاسمية في شهر ديسمبر 2020 بيانا يوضح أن بعض الحكام قد وقعوا في صف الخيانة وربطوا مصيرهم بالاستكبار العالمي... وضرب مثلا على تطبيع المغرب مع الكيان الصهيوني حيث أسقط ما يسمى "برئاسة أمير المؤمنين للجنة القدس" التي كان المحزن يضلل بها الأمة طيلة السنوات بحكم العلاقة بين نظام المحزن والكيان الصهيوني منذ القدم².

وقد أخرجت الزاوية جيلا يؤمن بحرية ودعم القضية الفلسطينية، وقد ربطها بالقضية الجزائرية، كتب أحد طلبتها أبو الضياء فلم يكتب أبو الضياء بالحديث عن الجزائر، وما كانت تعانيه؛ بل امتطى متن الذكرى، للحديث عن نكبة المسلمين في فلسطين، عام ثمانية وأربعين، وما كان يجب على الأمة أن تقوم به لتخفيف محنة أبناء فلسطين، فكتب مقالا، جاء فيه:

« .. ويا أبناء خير أب... إن هذا-والله - لقليل من كثير، مما هو اليوم في فلسطين، وما يلاقيه إخواننا المسلمون على أيدي الصهاينة المعتدين... أمن كأس الجذل والسرور تتساقون، وهم إلى الموت الزؤام يساقون. أنتم في ربي وشيع، وهم

¹ ينظر: محمد المأمون القاسمي، الجزائر مع فلسطين في السراء والضراء، بحث منشور على شبكة الأنترنت، <https://www.aps.dz>, 2021 /09 /21.

² ينظر: منير ركاب، آن الوقت لوقف فضيحة التطبيع مع الصهاينة، بحث منشور على شبكة الأنترنت، <https://www.echoroukonline.com>, 2021 /09 /21.

في خوف وجزع، وأنتم بين أحباب وأصحاب، وهم بين مخلب وناب. لا لا، والله، ما هكذا عمل المسلم الغيور، ورحى الموت على إخوانه تدور، ولا هكذا تكون إغاثة خير الرجال لأعز الأبطال... ألا فمدّوهم بكل ما ادّخرتم، وأعينوهم بما استطعتم، وشدّوا أزرهم بأموال لعزائمهم ورجالهم مقوية جامعة، ولا تتكّلوا، بعد اليوم، على تصريحات الجامعة! ...»¹.

ولنتأمل، أيها الإخوان، في هذه الكلمات، التي كتبت في شهر جويلية، سنة ثمان وأربعين، بعد ثلاثة أشهر من النكبة، كيف كان الألم يعتصر قلوب الأحرار. وها نحن اليوم، بعد سبعة وستين عاما، من ضياع فلسطين، نعيش نكبة العرب في أنظمتهم المتخاذلة، نعيش نكبة الذاكرة التي طواها النسيان، نسيان قضية فلسطين، القضية الأولى لكافة المسلمين.

هذا ما كان يحمله شباب الزاوية من همّ الوطن السليب؛ فقد كان يقضّ مضاجعهم أن يروه يزرع تحت وطأة الاستعمار البغيض، ويستعدّون لجهاد كانوا يرونه قريبا. وقد كان هذا الجيل من أبناء الزاوية وطلبتها، ومن كان يقرأ مقالاتهم، من زملائهم وإخوانهم، هم الذين انتشروا طلائع للجهاد، عند اندلاع ثورة التحرير، من الأوراس الأشم إلى أفاصي الصحراء، وفي شرق الجزائر وغربها².

وفي الأخير يخلص الباحث:

هذه المبادئ والقيم الجهادية التي ذكرها الباحث في هذه الورقة البحثية كلها أساليب تبتتها زاوية الهامل إبان الثورة التحريرية الجزائرية ضد العدو الاستعماري الفرنسي، وأن منطلق خطاباتها كانت من منطلق إسلامي وجهادي.

كما حملت زاوية الهامل هم القضية الدينية والعلمية والتربوية لتكوين النشء أخرجت أيضا رجالا عظماء يحملون هم الثورة الجزائرية، وما زالت أيضا تحمل هم القضية التحريرية الفلسطينية، وتحمل هم الأمة الإسلامية؛ فهناك علاقة وطيدة بين سبل الجهاد، فالتضحية بالنفس في سبيل الله جهاد، والكلمة والقلم جهاد، وحمل هم الأمة والدعوة جهاد.

هناك علاقة وطيدة بين التصوف الإسلامي لزاوية الهامل والبلد الفلسطيني حيث يشتركان في الطريقة نفسها وهي الطريقة القاسمية الخلوتية، ويمحلان الفكر الجهادي والديني نفسه، لذا يجد الباحث أن هناك امتداد ديني وعريق له أسس ومبادئ تعبر عن بقاء مقامات الأنبياء والصالحين إلى يوم الدين.

إن الوجد الذي ذاقه الشعب الجزائري من ويلات الاستعمار الفرنسي هي نفسها المعاناة التي ذاقها الشعب الفلسطيني اليوم من المغتصب اليهودي، ولأن الشعبين مشتركين في الوجد نفسه، ولا يشعر بالوجد الفلسطيني إلا من ذاق وجعه، إذا فجميع المؤسسات الجزائرية مع فلسطين وليست الدينية فقط بل حتى السياسية وقد تحدث الراحل الهواري بومدين رحمه الله نيابة عن الجزائر وشعبها وعن أولها وآخرها مقولته الخالدة: نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة، ولا شك أن البلدين يحملان نفس المصير وهو الحرية، فالوطن الجزائري حر اليوم والبلد الفلسطيني، حر غدا.

¹ محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني، الزوايا الرحمانية وماراتها القرآنية عطاء علمي وخط وطني الزاوية القاسمية أنموذجا، د. د، بوسعادة، المسيلة، د. ط، 1436هـ-2015م، ص: 8.

² المرجع نفسه، ص: 8.

دور الزوايا لا يقتصر فقط على التربية والتنشئة كما يعتقد البعض، بل دورها يتعدى إلى العمل على تطوير الفكر الإصلاحي والتربية المجتمعية على الفكر التحرري من القيود الاستعمارية والانخراط في العمل السياسي والإعلامي والديني وكذلك تأصيل الفكر القومي العربي والإسلامي، وبعث عناصر الهوية والتأكيد على وحدة الشعب ووحدة الوطن العربي ونبد النعرات والتفرقة.

5. خاتمة:

ومجمل القول في ختام هذه الورقة البحثية خلصنا إلى جملة من النتائج أهمها:

- تعد زاوية الهامل من أهم الزوايا قديمة النشأة والتي لها جذور راسخة عبر التاريخ وتنسب لمؤسسها الأول هو الشيخ محمد بن أبي القاسم الشريف الحسيني المعروف بالشيخ الهامل.
- كان للزاوية دور كبير من حيث النشاط التربوي والتعليمي والاجتماعي ويظهر ذلك جليا في تحفيظ القرآن الكريم وعلومه كالتفسير والفقه والحديث وعلوم العربية، إضافة إلى حل الخلافات الاجتماعية.
- تعد زاوية الهامل من بين الزوايا التي رفضت تواجد الاحتلال الأجنبي على أراضي الجزائر، ويتمثل رفضها من خلال لقاءاتها المتكررة مع الأمير عبد القادر والتقيده بتوجيهاته وتعليماته ودعمها وتبنيها للشورات الشعبية إبان الاستعمار الفرنسي.
- كان للاستعمار الفرنسي موقف شديد ضد زاوية الهامل حيث سعت لتخريبها وذلك من خلال نشر أفكار خاطئة ضد الزاوية في أوساط الشعب الجزائري وتعرض شيوخها للتعذيب والسجن وعزل الطلبة على مزاولتها.
- تبنت زاوية الهامل ثورة أول نوفمبر ودعمتها وذلك من خلال إلهاب روح الثورة في نفوس طلبتها الذين التحقوا بصفوف الثورة التحريرية.
- هناك ارتباط وثيق بين زاوية الهامل والوطن الفلسطيني والرابط بينهما الهوية الدينية العريقة والتي تتمثل في اشتراكهما في المبدأ وهو الطريقة الصوفية القاسمية مما ساهم في توطد العلاقة من جانب العقيدة ومن جانب التأثير والتأثر خاصة في نصرة القضية الفلسطينية.
- محاولة الشيخ القاسمي في مداخلته التذكير بالقضية الفلسطينية وبطولاتها وحمل هم هذه القضية وتوضيح معالم الجهاد للشعب الفلسطيني لنصرة وطنه ودينه.
- أن التصوف الروحي بمعناه الحقيقي يمكننا من العودة إلى الإسلام وإذا تمكنا من العودة إلى الإسلام تمكنا من تطبيق أحكامه والجهاد وحب الأوطان والحرية ورد الظلم ونصرة الحق كلها عناصر من الإسلام. وفي ختام هذه الدراسة نُوجّه جملة من التوصيات للباحثين:
- هناك بعض الاعتراضات من قبل بعض شيوخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على الزوايا، فينبغي أن تكون هناك دراسة حول علاقة الزوايا بجمعية العلماء المسلمين.
- التعريف والتوعية بالدور الكبير الذي تلعبه الزوايا في إعداد الأجيال وتحرير الأوطان لالتفات إلى القضايا العربية الإسلامية العالقة.

- محاولة الدول العربية الإسلامية الاهتمام بالزوايا وتدعيمها لأنها هي الأسس من الأسس والجوهر الذي تبنى عليه الحياة.

- تحتوي زاوية الهامل على الكثير من المخطوطات ينبغي أن تكون هناك دراسات لتحقيق هذا الموروث التاريخي الضخم.

6. قائمة المصادر والمراجع:

- 1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط. 3، 1414، ج: 14.
- 2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط. 1، 1830-1954، ج: 3، ص: 218، 223.
- 3) أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بير فونتانة الشرقية، الجزائر، د. ط، د. ت.
- 4) بكاي رشيد، سلطة الخطاب الصوفي في الجزائر أدوار التنظيمات الصوفية (الطرقية) خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر من المقاومات الشعبية المسلحة إلى المقاومة السياسية الثقافية دراسة تحليلية نقدية: (1832م-1954م)، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، أطروحة دكتوراه، مكملة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص: علم الاجتماع الديني، 2012-2013.
- 5) الحاج خليل القاسمي، من وحي الذاكرة، مذكرات حول الثورة، إعداد السيد محمد فؤاد القاسمي، مرقونة لدى غبنة محمد فؤاد القاسمي.
- 6) الحاج مزاري، الهامل مركز إشعاع، ثقافي وقلعة للجهاد والثورة، دار الحكمة، بلوزداد، الجزائر، د. ط، 1993.
- 7) حامد البيتاوي، صالح الرقب وآخرون، كيف نربي أبناءنا تحت حراب الاحتلال، البحوث التربوية في مجلة البيان، د. ع، م، 1، د. ت.
- 8) حبيب كاكي (27/09/2021)، زاوية الهامل، بحث منشور على شبكة الأنترنيت، <https://archiqoo.com>, 2021/09/27.
- 9) دار الإفتاء (24/09/2021)، طريقة القاسمي الخلوتية الجامعة، بحث منشور على شبكة الأنترنيت، <https://www.alqasimy.com>
- 10) سهير محمد يوسف قاسم، الطرق الصوفية وتراثها في فلسطين (الخلوتية، والنقشبندية، والعلاوية)، جامعة بيرزيت، فلسطين، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: الدراسات العربية المعاصرة، 2005-2006.
- 11) صلاح مؤيد العقي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، د. ط، د. ت.
- 12) عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المذاهب الصوفية ومدارسها، دار الكتب، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت.
- 13) عبد المنعم القاسمي الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، نقلا عن وفاء بن علي، زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية، جامعة بوزريعة الجزائر، د. ك، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: التاريخ الحديث المعاصر، 2007-2008م.
- 14) عبد المنعم القاسمي الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، نقلا عن: aom -en-Provence rapport des archives doutre-mer aix.

- 15) العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر من التحول الديني إلى النيوي ومن المقدسي إلى السياسي _ دراسة أنثروبولوجية_، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة بسكرة، الجزائر، ع: 15، جوان، 2014.
- 16) مجمع اللغة العربية - إبراهيم مصطفى أحمد الزيات وآخرون-، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، مصر، د. ط، د. ت، ج: 1.
- 17) محمد المأمون القاسمي (21/09/2021)، الجزائر مع فلسطين في السراء والضراء، بحث منشور على شبكة الأنترنت، <https://www.aps.dz>.
- 18) محمد المأمون القاسمي الحسني، الزاوية القاسمية بالهامل، مقتطف من كتاب، عبد المنعم القاسمي الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، لإعداد: رياض قندوز بحث: المواقف السياسية لزاوية الهامل من الثورة التحريرية الوطنية والاستعمار الفرنسي وأثرها التحرري على القضية الفلسطينية، بوسعادة، المسيلة، 2019.
- 19) محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني، الزوايا الرحمانية وماراتها القرآنية عطاء علمي وخط وطني الزاوية القاسمية أنموذجا، د. د، بوسعادة، المسيلة، د. ط، 1436هـ-2015م.
- 20) محمد صاحبي، منخطوطات زوايا الجنوب الجزائري (أدرار، بوسعادة، بسكرة): مقارنة تاريخية - بيبليوغرافية، جامعة وهران، قسم البيبليوغرافية، الجزائر.
- 21) مشيخة الزاوية القاسمية الهامل، زاوية الهامل القاسمية التاريخ والواقع والآفاق، بوسعادة، المسيلة، د. ط، 1441هـ/2019.
- 22) منير ركب (21/09/2021)، آن الوقت لوقف فضيحة التطبيع مع الصهاينة، بحث منشور على شبكة الأنترنت، <https://www.echoroukonline.com>.
- 23) نسمة قديدة، موقف الطريقة الرحمانية من الاحتلال الفرنسي " 1962- " زاوية الهامل ببوسعادة 1863 أنموذجا، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ معاصر.
- 24) هادي محمد (29/09/2021)، الصوفية هي الحل، بحث منشور على شبكة الأنترنت، <https://www.almuada.4umer.com>.
- 25) وثائق المكتبة القاسمية بزاوية الهامل.